

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) .

=====

١- في هذا الحديث ثلاث أمور :

الأول : قوله (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) .

فيه فضل الصدقة .

فائدة : ١

فضائل الصدقة :

أولاً: أنها برهان على صحة الإيمان.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ. وَتُبْحَنُ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ...) رواه مسلم.

قال ابن رجب: وأما الصدقة فهي برهان، ... فكذا الصدقة برهان على صحة الإيمان.

ثانياً: أنها تطهير للنفس.

قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

ثالثاً: أنها تغفر الذنوب.

قال ﷺ (والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار) رواه الترمذي.

رابعاً: أن الصدقة تزيد المال.

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

خامساً: أنها تظل صاحبها يوم القيامة.

قال ﷺ (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه أحمد.

وقال ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

سادساً: أنها وقاية من النار.

قال ﷺ (النار ولو بشق تمر) متفق عليه.

وقال ﷺ للنساء (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِعْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ) متفق عليه.

سابعاً: دعاء الملائكة.

كما قال ﷺ (ما من صباح إلا وينزل ملكان: يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً). متفق عليه

ثامناً: أن فيها علاجاً من الأمراض.

روي عنه ﷺ أنه قال (داووا مرضاكم بالصدقة).

قال ابن شقيق (سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عاجلها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ).

تاسعاً: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء.

كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل (وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفندي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم). فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب)

عاشرًا: أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به.

كما في قوله تعالى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ).

ولما سأل النبي ﷺ عائشة عن الشاة التي ذبحوها ما بقي منها: قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال (بقي كلها غير كتفها). رواه الترمذي

الحادي عشر: أن يضاعف للمتصدق أجره.

كما في قوله عز وجل (إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ). وقوله سبحانه (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

الثاني عشر: أن فيها انشراحاً للصدر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تَحْدِيهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُعْشَى أَنْامِلُهُ وَتَعْفُو أَثَرُهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ فَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا) متفق عليه.

فالمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدَّق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقياً بالاستكثار منها والمبادرة إليها وقد قال تعالى (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

الثالث عشر: الفضل الكبير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ. لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتَّصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) رواه مسلم.

الرابع عشر: صاحب الصدقة موعود بالخلف.

كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أي يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

الخامس عشر: أن الله يربي الصدقة.

كما قال تعالى (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ) متفق عليه.

فائدة : ٢

قال السمرقندي : عليك بالصدقة بما قلَّ أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة خمس في الدنيا وخمس في الآخرة:

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال كما قال النبي ﷺ (ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة).

والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب، كما قال الله تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...).

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال النبي ﷺ (داووا مرضاكم بالصدقة).

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.
والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق، كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ).
وأما الخمس التي في الآخرة:
فأولها: أن تكون الصدقة ظلاً لصاحبها في شدة الحر.

والثاني: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

فائدة : ٣

معنى قوله (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) .

قال القاضي عياض -رحمه الله- (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) فيه وجهان:

أحدهما: أَنَّهُ يَقْدَرُ مَا نَقَصَ مِنْهُ يَزِيدُهُ اللَّهُ فِيهِ وَيُنَمِّيهِ وَيُكَثِّرُهُ.

والثاني: أَنَّهُ وَإِنْ نَقَصَ فِي نَفْسِهِ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ عَنْهَا مَا يَجِبُ ذَلِكَ النِّقْصَ بِإِضْعَافِهِ.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله-: معنى قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» أي: لَا تُنْقِصُ الصَّدَقَةُ الْمَالَ؛

لأنَّه مَالٌ مُبَارَكٌ فِيهِ، إِذَا أُدِّيَتْ زَكَاتُهُ، وَتَطَوَّعَ مِنْهُ صَاحِبُهُ؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ تُضَاعَفُ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ،

ويجدها صاحبها وقت الحاجة إليها كَجَبَلٍ أَحَدٍ مُضَاعَفَةً أَوْ ضِعَافًا كَثِيرَةً؛ فَأَيُّ نِقْصَانٍ مَعَ هَذَا؟

وقال النووي -رحمه الله- (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) ذَكَرُوا فِيهِ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: معناه: أَنَّهُ يُبَارَكُ فِيهِ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ الْمَضَرَّاتُ؛ فَيَنْجَبِرُ نَقْصُ الصُّورَةِ بِالْبَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ، وَهَذَا مُدْرِكٌ بِالْحِسِّ

وَالْعَادَةِ.

والثاني: أَنَّهُ وَإِنْ نَقَصَتْ صُورَتُهُ كَانَ فِي الثَّوَابِ الْمَرْتَّبِ عَلَيْهِ جَبْرٌ لِنَقْصِهِ، وَزِيَادَةٌ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

وقال الباجي -رحمه الله- قوله: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) يريد -والله أعلم-: أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تُنْقِصُ

الْمَالَ؛ لِأَنَّ مَا يُنْفَقُ فِي الصَّدَقَةِ فَالْعَوَظُ عَنْهُ مِنَ الْأَجْرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَبَبٌ لِنَتْمِيَةِ الْمَالِ وَحِفْظِهِ.

وقال الصنعاني -رحمه الله-: فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ عَدَمَ التَّقْصِ بِمَعْنَيْنِ:

الأول: أَنَّهُ يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ الْآفَاتُ، فَيَجِبُ نَقْصُ الصُّورَةِ بِالْبَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ.

والثاني: أَنَّهُ يَحْصُلُ بِالثَّوَابِ الْحَاصِلِ عَنِ الصَّدَقَةِ جُزْءٌ نَقَصَ عَيْنَهَا، فَكَأَنَّ الصَّدَقَةَ لَمْ تُنْقِصِ الْمَالَ؛ لِمَا

يَكْتَسِبُ اللَّهُ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَةِ إِلَى عَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

قلت: والمعنى الثالث: أنه تعالى يُخْلِفُهَا بِعَوَضٍ يظهر به عدم نقص المال، بل ربما زادته، ودليله: قوله تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) وهو مجربٌ محسوسٌ.

وقال صفى الرحمن المباركفوري -رحمه الله- قوله (ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ) لأن ما نقص بالصدقة يخلفه الله ببدل من عنده، قال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ولأن ما يبقى بعد الصدقة يبارك الله فيه؛ حتى يقوم القليل مقام الكثير، فينجبر النقص الظاهر بالبركة الخفية، يضاف إلى ذلك الأجر المرتب على الصدقة في الدنيا؛ من احترام الناس وإكرامهم وتقديرهم للمتصدق، والذي يترتب في الآخرة من الأضعاف المضاعفة في الثواب، فالصدقة بجنب كل هذا الكسب كأنها ليست بشيء، وأنَّ العائد أكثر مما أنفق وتصدق.

فائدة : ٤

معنى قوله ﷺ (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) رواه أحمد.

قال المناوي -رحمه الله- (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ) يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس «حتى يُقضى» لفظ رواية الحاكم: «حتى يفصل بين الناس» يعني: أن المتصدق يُكفى المخاوف، ويصير في كنفِ الله وسِتره، يقال: أنا في ظل فلان، أي: في داره وحماه، أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير بها في ظل بخلق الله وإيجاده كما قيل فيه، وفي نظائره المعروفة كذبح الموت ووزن الأعمال (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكان بعض السلف لا يأتي عليه يوم إلا تصدق ولو ببصلة أو لقمة.

وقال المغربي -رحمه الله- الحديث فيه دلالة على فَضْلِ الصدقة. وكون المرء في ظلها؛ إما مجاز عن مدافعتها عنه أهوال القيامة، أو أن ذلك على حقيقته، وإن الصدقة تأتي أعيانها يوم القيامة، فيظله عن حر الموقف .
وقال الشيخ ابن عثيمين: ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الصدقة، وعلى أنها تكون يوم القيامة ظلًّا لصاحبها، وأنها تكون ظلًّا في جميع يوم القيامة حتى يفصل بين الناس.

فائدة : ٥

من أقوال ابن القيم في فضل الصدقة :

قال ابن القيم: فالصدقة لها تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجرٍ أو ظالمٍ، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض مقرون به لأنهم قد جربوه. (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله: الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرا عجيبا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به. ... فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق. (بدائع الفوائد)

وقال رحمه الله: والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره ... ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها. (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله: وفي الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها إلا الله: فمنها انها تقى مصارع السوء - وتدفع البلاء حتى انها لتدفع عن الظالم، وتطفئ الخطيئة - وتحفظ المال - وتجلب الرزق - وتفرج القلب - وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به - وترغم الشيطان - وتزكى النفس وتنميها - وتحبب العبد الى الله والى خلقه - وتستتر عليه كل عيب - وتزيد في العمر - وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم - وتدفع عن صاحبها عذاب القبر - وتكون عليه ظلا يوم القيامة - وتشفع له عند الله - وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة - وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك. (عدة الصابرين)

وقال رحمه الله : فإن الصدقة تفدي من عذاب الله، فإن ذنوب العبد وخطاياہ تقتضي إهلاكه، فتجاء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد (يا معشر النساء تصدقن ... فإني رأيتكن أكثر أهل النار. (الوابل الصيب)

وقال رحمه الله : ... وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ومنه قول النبي أفضل الصدقة سقى الماء وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش وإلا فسقى الماء على الأنهار والقنى لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة. (الروح)

فائدة : ٦

وقد أمر الله تعالى بالصدقة قبل قيام القيامة الصغرى وقبل الكبرى: فقال تعالى (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). والموت القيامة الصغرى.

وقبل يوم القيامة: فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

فائدة : ٧

وقد جاء الأمر بالصدقة والحرص عليها والمبادرة بها قبل أن لا يوجد من يقبلها.

عن حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول (تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمانٌ يمشي الرجلُ بصدقته فلا يجدُ من يقبلها يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي) متفق عليه.

وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال (ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء) متفق عليه.

فائدة : ٨

ينبغي للمسلم ألا يحتقر القليل من الصدقة .

ففي حديث أبي هريرة . قال: قال ﷺ (من تصدق بعدل تمرة، من كسب طيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل) متفق عليه .

وعن عدي بن حاتم . قال : قال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه .

فائدة : ٩

الأفضل في صدقة التطوع أن تكون سراً.

لقوله ﷺ (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلع : ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه) متفق عليه

وقال تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ).

قال السعدي: قوله تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) قال السعدي: أي: فتظهرها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي: فنعمة الشيء (هي) لحصول المقصود بها.

وقال ابن القيم: قوله تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) أي فنعمة شيء هي وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية فلا يتوهم مبدئها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها وينتظر بها الإخفاء فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها فلا يؤخر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ) أي: وإن تسروها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأنه أبعد عن الرياء.

وقال ابن كثير: فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحثية.

فالأصل أن الإسرار أفضل، لهذه الآية، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وجاء في الحديث (صدقة السر تطفئ غضب الرب).

وقال القرطبي: قوله تعالى (فَنِعْمًا هِيَ) ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك. ولذلك قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره.

ثانياً: قوله (وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) .

فيه فضل العفو وأنه سبب للعزة .

فائدة : ١

فضائل العفو .

أولاً: أن فيه استجابة لأمر الله تعالى وطاعة لله ورسوله.

قال تعالى (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ).

وقال تعالى (فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ غِلَظُ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ).

وقال تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ثانياً: وهو يورث العز في الدنيا والآخرة.

كما في حديث الباب (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً).

ثالثاً: وهو يورث محبة الله عز وجل.

قال تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

رابعاً: يجلب الأجر الجزيل من الله تعالى.

قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

قال السعدي: وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يجب أن يعامله الله به، فكما يجب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يجب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

خامساً: يوجب عفو الله عن العبد يوم القيامة.

ففي الحديث (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه). متفق عليه

سادساً: وهو من صفات الرسول ﷺ .

كما قال عبد الله بن عمرو: إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة (أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صحّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) رواه البخاري.

سابعاً: سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

ثامناً: من صفات المتقين.

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

فائدة : ٢

قال النووي: من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزة وكرامة.

فائدة : ٣

قال ابن تيمية: ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله مصداقاً لقول النبي ﷺ : وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً.

فائدة : ٤

من أقوال السلف :

عن أيوب قال: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم.

وهذا زين العابدين بن علي رضي الله عنه أتت جاريته تصب الماء عليه فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فقالت: والكاظمين الغيظ فقال: كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس قال: عفوت عنك، قالت: والله يحب المحسنين، قال: أنت حرة لوجه الله.

قال الحسن: كانوا يقولون أفضل أخلاق المؤمن العفو.

قال ابن حبان: الواجب على العاقل توطئ النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة! إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال بمثلها.

وقال عمر بن عبد العزيز: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

وراحت النفس في العفو: فقد قال أحد الشعراء:

لما عفوت، ولم أحقد على أحدٍ ... أرحت قلبي من غم العداوات

إني أحي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشى قلبي محبات

فائدة : ٥

أعظم سبب يقود للعفو عن الناس، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته النفيسة (قاعدة في الصبر) الأسباب التي تُعين المسلم على الصبر على أذى الناس قال: الثالث: أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ حُسْنَ الثَّوَابِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ لِمَنْ عَفَى وَصَبَرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ).

الثالث : قوله (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) .

فيه فضل التواضع وأنه سبب للرفعة .

فائدة : ١

فضائل التواضع :

سبب للرفعة.

لقوله ﷺ (ما تواضع لله رفعه الله) .

وهو من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا).

قال ابن كثير: هذه صفات عباد الله المؤمنين (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أي: بسكينة ووقار من غير جَبَرِيَّةٍ وَلَا اسْتِكْبَارٍ، كما قال (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا). فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر.

قال السعدي: فوصفهم بأنهم (يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده.

وهو من صفات من يحبهم الله.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ).

قال ابن كثير: هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه.

ويورث المحبة.

قيل: التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

قال ابن حبان: ... والتواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمره التواضع المحبة، كما أن ثمره القناعة الراحة، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضعته. والتواضع من أخلاق الأنبياء وشيم النبلاء.

فهذا موسى عليه السلام رفع الحجر لمرأتين أبوهما شيخ كبير.

وداود عليه السلام كان يأكل من كسب يده.

وزكريا عليه السلام كان نجارًا.

وعيسى عليه السلام يقول (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا).

وما من نبي إلا ورعى الغنم، ونبينا ﷺ.

والتواضع سبب العدل والألفة والمحبة في المجتمع.

عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَنْبَغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

فائدة : ٢

معنى قوله ﷺ (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) .

قال النووي: قوله ﷺ (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه وجهان:

أحدهما: يرفعه في الدنيا ، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ، ويجل مكانه.

والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ، ورفع فيه بتواضعه في الدنيا.

قال العلماء: وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة، والله أعلم. (شرح نووي)

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- وقوله (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) أي: رَفَعَ قَدْرَهُ في القلوب؛ لإخلاصه في التواضع.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: فيه وجهان:

أحدهما: أَنَّ الله تعالى يَمُنحه ذلك في الدنيا جزاءً على تواضعه له، وَأَنَّ تَوَاضَعه يُثَبِّت له في القُلُوب مَحَبَّةً ومكانةً وعِزَّةً.

والثاني: أَن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تَوَاضَعه.

وهذه الوجوه كُلها في الدنيا ظاهرةً موجودةً، وقد صدق ﷺ فيما أخبر منها، وقد يكون جَمع الوجهين في جميعها، وكان هذا كله تنبيهًا على رَدِّ قول مَنْ يقول: الصَّبْر والحِلْم الذُّلُّ .

وقال الصنعاني -رحمه الله- وفي قوله «وما تواضع أحدٌ لله» أي: لأجل ما أعدَّه الله للمتواضعين، «إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» دليلٌ على أَنَّ التواضع سبب للرفعة في الدارين لإطلاقه.

فائدة : ٣

من أقوال السلف في التواضع :

قال إبراهيم بن شيبان: الشَّرَف في التَّوَّاضُع، والعِزُّ في التَّقْوَى، والحَرِيَّة في القناعة .

قال أبو بكر : ﷺ وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع .

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إنكم لمغفلون، أفضل العباد: التواضع" .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر*** على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه*** إلى طبقات الجو وهو ضيع

قال ابن الحاج رحمه الله: من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى؛ فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها فكأن سائلاً سأل: ما صعد بك هنا -أعني في رأس الشجرة- وأنت تحت أصلها؟ فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه.

قال ابن قتيبة: ثمرة القناعة الراحة، وثمره التواضع المحبة.

قال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل نعمة محسود عليها إلا التواضع.

قال بعض الحكماء: إذا نسك الشريف تواضع، وإذا نسك الوضيع تكبر.

قال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

وقال عامر بن عبد الله: من تواضع تخشعاً رفعه الله ومن تكبر تعظماً وضعه الله.

قال بعض الحكماء: البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها: العجب، والنعمة التي لا يحسد عليها: التواضع.

قال الغزالي: يقال: أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه.

وقال الذهبي في السير وإيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ---- فإن رفيع القوم من يتواضع
قال ابن حبان: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تُحمد إلا
أن المرء كلما كثر تواضعه، ازداد بذلك رفعة، لكان الواجب عليه ألا يتزياً بغيره، والتواضع يرفع المرء قدرًا،
ويعظم له خطرًا، ويزيده نُبلاً.

وقال الذهبي في السير: وإيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.
قال الشاعر :

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ---- فإن رفيع القوم من يتواضع.

فائدة : ٤

قال ابن حبان: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تُحمد إلا
أن المرء كلما كثر تواضعه، ازداد بذلك رفعة، لكان الواجب عليه ألا يتزياً بغيره، والتواضع يرفع المرء قدرًا،
ويعظم له خطرًا، ويزيده نُبلاً.

فائدة : ٥

قال ابن القيم: من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيدَ في علمه، زيدَ في تواضعه ورحمته، وكلما
زيدَ في عمله، زيدَ في خوفه وحذره، وكلما زيدَ في ماله، زيدَ في سخائه وبذله، وكلما زيدَ في قدره وجاهه،
زيدَ في قربهِ من الناس وقضاء حوائجهم، والتواضع لهم.

فائدة : ٦

وجوب الإخلاص في التواضع .

قال ابن الجوزي -رحمه الله- قوله: (وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعةُ الله) أي: رَفَعَ قَدْرَهُ في القلوب؛
لإخلاصه في التواضع.

وقال السعدي -رحمه الله- (وما تواضع أحدٌ لله) تنبيهٌ على حسنِ القصد والإخلاص لله في تواضعه؛ لأن
كثيرًا من النَّاسِ قد يُظهر التواضع للأغنياء ليصيب من دنياهم، أو للرؤساء لينال بسببهم مَطْلُوبه، وقد يُظهر
التواضع رياءً وشمعةً، وكل هذه أغراض فاسدةٌ، لا ينفع العبد إلا التواضع لله تقربًا إليه، وطلبًا لثوابه،
وإحسانًا إلى الخلق؛ فكمال الإحسان وروحه: الإخلاص لله.

فائدة : ٧

أُمُور تعين على التواضع :

التفكر في أصل خلقة الإنسان:

إن تفكّر الإنسان في أصل نشأته، يُعينه على أن يكون من المتواضعين، ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أصل خلقه الإنسان، ومراحل تكوينه في رحم أمه .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) .

التفكير في مصير الإنسان بعد موته:

قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ) .

وقال سبحانه (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) .

قال أبو الأحوص رحمه الله: افْتَحَرْتُ فُرَيْشَ عِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عليه السلام، فَقَالَ سَلْمَانُ: لَكِنِّي خُلِقْتُ مِنْ نُطْفَةٍ قَدْرَةٍ، ثُمَّ أَعُوذُ جِيفَةً مُنْتَنَةً، ثُمَّ يُوْتَى بِالْمِيزَانِ، فَإِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينِي، فَأَنَا كَرِيمٌ، لَكِنِّي وَإِنْ خَفَّتْ فَأَنَا لَيْئِمٌ .

معرفة الإنسان قدرته الحقيقية:

إِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ قَدْرَ عَظَمَةِ رَبِّهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ شَخْصٌ ضَعِيفٌ فَإِنْ، وَأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْمُوجِبَةِ لِلرَّفْعَةِ وَالْكَبَرِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا ثَبَاتَ لَهَا، بَلْ هِيَ أَغْرَاضُ زَائِلَةٌ، وَيُذَرِّكُ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْعَظِيمُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَقَاءِ وَالْكَبَرِيَاءِ، فَهَذَا لَا يَتَمَرَّدُ عَلَى خَالِقِهِ بِاقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ وَالْآثَامِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُعَامِلُ النَّاسَ مُعَامَلَةً حَسَنَةً بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ وَرَفْقٍ وَلِيْنٍ جَانِبٍ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُبَالِي بِمَظَاهِرِ الْعُظْمَةِ الْكَاذِبَةِ، وَلَا يَتَرَفَّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَشْيِيِّ مَعَهُمْ، وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِمْ وَمُخَاطَبَتِهِمْ بِالْكَلَامِ اللَّيْنِ، وَلَا يَأْنِفُ مِنْ اسْتِمَاعِ نَصِيحَةٍ مَنْ هُوَ دُونَهُ .

والله لو عرفت قدر نفسك يا عبد الله ما تكبرت، ولو عرفت يا عبد الله من أنت؟ ومم أنت؟ ومن أين خرجت؟ وما الذي تحمله الآن في بطنك؟ ما تكبرت!

قال بعضهم: عجبت لمن يدخل الحمام في اليوم مرتين، كيف يتكبر!

يا مدعي الكبر إعجاباً بصورته	انظر خلاك فإن النتن تشرب
لو فكر الناس فيما في بطونهم	ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكل التراب غداً	أقصر فإنك مأكل ومشروب

معرفة ثواب التواضع:

إِنَّ مَعْرِفَةَ الثَّوَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَوَاضِعِينَ الْمُخْلِصِينَ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى التَّوَاضُعِ .

وقد تقدمت فضائل التواضع وأنه سبب للرفعة .

قال الصنعاني (... إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) في الدنيا والآخرة، والتكبر سبب لضد ذلك، وكذا من تواضع لأوامر الله واتباعها؛ بل هو أعلى أنواع التواضع.

فائدة : ٨

قال الطبري - رحمه الله - : في التواضع مصلحة الدين والدنيا، فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالَت بينهم الشحنةاء، ولا استراحوا من تعب المَبَاهَاة والمفاخرة.

فائدة : ٩

التواضع خلق حميد، وجوهر لطيف، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وهو من أخص خصال المؤمنين المتقين، ومن كريم سجايا العاملين الصادقين، ومن شيم الصالحين المخبتين.

التواضع هدوء وسكينة ووقار واتزان، التواضع بشاشة وجه، ولطافة خلق، وحسن معاملة، بتمام التواضع وصفائه يتميز الخبيث من الطيب، والأبيض من الأسود، والصادق من الكاذب، وما تواضع أحد لله تعالى، إلا رفعه الله سبحانه.

المتواضع يبدأ من لقيه بالسلام، ويجب دعوة من دعاه، كريم الطبع، جميل العشرة، طلق الوجه، رقيق القلب، متواضع من غير ذلة، جواد من غير إسراف .

فائدة : ١٠

قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض؛ أي: ترفعًا على خلق الله وتعاضًا عليهم وتجبرًا بهم، ولا فسادًا فيهم .

فائدة : ١١

قال الإمام ابن القيم: لا تصحُّ لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحبُّ، وممن تُبغض، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك... ومن أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرتة، حقًا كانت أو باطلاً، وتكلُّ سريرته إلى الله تعالى.

٢- **قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي** - رحمه الله - هذا الحديث: احتوى على فضل الصدقة، والعفو والتواضع، وبيان ثمراتها العاجلة والآجلة، وأنَّ كل ما يتوهمه الْمُتَوَهِّم من نقص الصدقة للمال، ومنافاة العفو للعزِّ، والتواضع للرفعة، وهمَّ غلط، وظنُّ كاذب، فالصدقة لا تُنْقِصُ المال؛ لأنه لو فُرض أنَّه نقص من جهة، فقد زاد من جهاتٍ أُخرى؛ فإن الصدقة تُباركُ المال، وتُدفع عنه الآفات وتُنمِّيهِ، وتفتح للمتصدِّق من أبواب الرزق، وأسباب الزيادة أمورًا ما تُفْتَح على غيره، فهل يقابل ذلك النَّقص بعض هذه الثمرات الجليلة؟

وهذه الثلاث المذكورات في هذا الحديث: مُقدمات صفات المحسنين، فهذا محسنٌ في ماله، ودفع حاجة المحتاجين، وهذا محسنٌ بالعفو عن جنایات المسيئين، وهذا محسنٌ إليهم بحلمه وتواضعه، وحسن خُلُقهِ مع الناس أجمعين. وهؤلاء قد وَسَّعُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ، ورفعهم الله، فصار لهم المحل الأشرف بين العباد، مع ما يَدَّخِرُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ .

٣- قال الصنعاني : في الحديثِ حُثٌّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَعَلَى الْعَفْوِ، وَعَلَى التَّوَاضُّعِ، وهذه من أمهات مكارم الأخلاق .

أخوكم
سليمان اللهيميد